سئل أبو بكر ـ يوم وضع هذا الحديث موضع الشك ـ فقيل له: أتصدق محمداً في هذا؟ فقال: أصدقه على أبعد م هذا!

فما هذا الأبعد الذي يشير إليه أبو بكر إن لم يكن اتصال النبي بالروح الكلي؟

على أننا نحن اليوم أقوى على فهم هذه المعجزة من معاصري النبي، وأكثر انطلاقاً في تفسيبر (العروج) بما هيأته لنا رماحل التطور والاختبارات، وليس في النصوص والقواعد العلمية ما يحجر لعي عقولنا ويلزمها بالقول: إنه عرج بجسده، فالقرآن حاشد ـ وإعجازه بهذا ـ مشحون بالمعاني الثانوية ـ كما يقول البلاغيون ـ والخيال العلمي هو الخطوة الأولى للكشف عن مجاهل الأفلاك وغيرها من مجاهل الكون، فلماذا لا تكون معجزة الإسراء هي تعليم الإنسان على ارتياد والمجاهل، والتحليق في سبيل التعرف إلى حقائق الكون؟

أنا كمسلم ـ وأنا كذلك ـ مؤمن أقتصر من فهم هذه المعجزة على دلالتها النابضة باتصال النبي بالروح الكلي، ولكن المادي لا تقنعه هذهالنزعة الميتافيزية وبقنعه ذلك التفسير المادي. أفيضرنا أن نتلاقي؟ إن أقوى أهداف الإسلام هو التلاقي على صفاء يسعد الإنسان، وينمي ملكاته ليستخرج خيرات الكون، ويستثمرها لمصالحه المتبادلة المتكافئة.

على أني أوجه النظر الأهم في فهم معجزة محمد صلى ا عيه وآله وسلم إلى واقعة العظيم، وحسبه من المعجزة أن صفاتِه القرآن، كما وصفه أهله عليه وعليهم أزكى التحيات.